موقف الإمام الخميني (قده) من القضية الفلسطينية والقضايا العربية :

مرحلة الجهاد والنضال قبل انتصار الثورة

الدكتورة دلال عباس

دكتوراه دولة في الأدب العربي

تقديم:

يعرف كلّ من زار إيران قبل الثورة الاسلامية المباركة وأتيح له أن يتعرف ولو جزئياً إلى معالم الحياة الثقافية والفكرية فيها، ممثلة بالإعلام الرسمي المرئي والمسموع والكتب والصحف، خطورة ذلك المدّ العنصري المعادي للعرب وللّغة العربية، الذي كان أصحابه يطمحون إلى إلغاء أربعة عشر قرناً من عمر إيران المسلمة، وإحياء أمجاد الدولة الساسانية، والمحاولات الجادّة التي كان يقوم بها بعض العنصريين بإلغاء الخط العربي، وإحلال الحرف اللاتيني مكانه.

وأعتقد أن كثيرين يتذكرون تلك العبارَة الشهيرة التي كانت تكتب على الجدران:

«تكلم بزبات عربى ممنوع ست» أو عبارة «عرب كثافت»...

أو ربما شاهد البعض تلك الأفلام التعليمية التي كانت تعرض على شاشات التلفاز، فيظهر فيها العربي بدوياً متخلفاً، غزا إيران بالقوة وسلبها مجدها وعزّها.

من هنا كان سعيي لإظهار مواقف الإمام من القضية العربية قبل نجاح الثورة الإسلامية المباركة، لصعوبة التحدي الذي كان يواجهه في داخل إيران، وإن كانت الصعوبة بعد نجاح الثورة قد جاءت من أهل القضية أنفسهم.

قبل أن تتعرف جماهير الشعب في إيران إلى شخصية الإمام الخميني (قدس) وتعلنه قائداً لها ومرشداً وإماماً، كان الخمينيّ في قمّ معلماً في حوزتها، يتنافس

الطلبة على الإستماع إلى دروسه، ويحلمون باليوم الذي سيصبحون فيه في عداد تلامذته...

لقد استطاع الإمام أن يربّيَ جيلاً من طلبة الحوزة الشباب حملوا على عاتقهم مهمة النضال، في الطريق الذي رسمه المرشد، في أثناء غيابه عن الساحة مسجوناً أو منفيّاً، ولقد كانت محبّة جيل الحوزة الشابّ للإمام قائداً ومعلماً وأباً ومرشداً روحيّاً، فوق ما يتصوّره محبّوه وشانئوه، كما يتوضّح من مذكّرات تلاميذه التي نُشرت بعد انتصار الثورة[1].

ولقد كان من بين مريديه مجموعة من رجال الثورة المرموقين، الذين تشبّعوا بأفكاره وتطلعاته، ومواقفه المعلنة وغير المعلنة، وعملوا على نشرها في مختلف مناطق إيران، ولم تبق محبوسة داخل جدران الحوزة، بل انطلقت إلى مختلف المناطق الإيرانية حملها الطلبة في أسفارهم التبليغية[2]، التي كانت بالنسبة إليهم واجباً دينياً، وخيطاً يربط عامة الناس بأفكار الإمام، هذه الأفكار التي حملوها إلى حيث كانت تحطّ بهم الرحال، يستغلون المناسبات الدينية المختلفة لنشر الدعوة، ونشر أفكار الإمام، ويتعرفون في الوقت نفسه إلى احتياجات الناس، وما يعتمل في نفوسهم، وكيف ينظرون إلى الأمور.

فمنذ أن بدأ الإمام مهمة التدريس في حوزة قم، وقبل أن ينخرط في النضال السياسي المباشر، ابتداءً من العام ١٩٦٣، كان حريصاً على التركيز في دروسه على ثلاث قضايا أساسية:

١ ـ مواجهة الفكر الديني المتحجّر واخراج الدين من القمقم الذي حبس فيه

---

(١) أقصد بالتحديد مذكرات هاشمي رفسنجاني التي نُشرت بجزأين تحت عنوان «هاشمي رفسنجاني: دوران مبارزة» والتي ترجمتها صاحبة البحث الى العربية، وستصدر قريباً عن «دار الأرقم» بيروت.

(٢) كانت إحدى ميزات الدراسة في قم، تداخل التحصيل العلمي ومهمة التبليغ ونشر الدعوة، وهذه الخاصية هي التي كانت تميزها من الدراسة في النجف الأشرف. ففي حين كان الوعظ والخطابة في حوزة النجف يعدّان معيقين، لمن يبغي ارتقاء منزلة رفيعة في الفقه، كان طلبة حوزة قم يسافرون في العطل الدراسيّة للتبليغ في المناطق البعيدة، وكانت هذه الأسفار التبليغية بالنسبة اليهم واجباً دينياً متمّماً للدراسة، ووسيلة لكسب الرزق» رفسنجاني: دوران مبارزة ج ١ ص ٢٣ وص ١٢٧.

قروناً متمادية، وانتقاد رجال الدين الذين يختصرون الدين بممارسة الفرائض والشعائر الدينية منفصلة عن القضايا الوطنية والاجتماعية.

٢ ـ إظهار حقيقة التشيع كفكر إسلامي ثوري، وإخراجه من أتون الصراع المذهبي الذي أدخله فيه الصفويون في مرحلة الصراع السياسي بين الدولتين العثمانية والصفوية.

٣ ـ مواجهة التيار القومي الفارسي العنصري، الذي كان يدعو إلى إحياء أمجاد إيران القديمة قبل الإسلام.

لقد كان الإمام يصبو منذ البداية إلى حركة تدفع مصير الأمة الإسلامية كلّها، ولهذا السبب كان يولي أهمية بالغة لأسلمة المقاومة، ولم يشأ أن تظل محصورة في الحيّز القومي أو الوطني الضيّق، معارضاً هذا الخط منذ البداية وحتى النهاية[١]، وكان يرى أن الدراسة الحوزوية قاصرة، ولا يمكنها التصدي لكل ما كان يجري في الساحة الإيرانية، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، لذلك شجع طلبة الحوزة على مطالعة مواد غير مدرجة في برامج الحوزة، كما حثّهم على دخول الجامعة، ومتابعة دراساتهم العليا داخل إيران وفي الخارج، لبناء كوادر تتولى القيادة الفكرية في الجامعة وخارجها، يمكنها أن تردّ على الشبهات التي يزرعها العنصريون في النفوس، وتنخرط في الإدارات العامة، كي لا تظل الجامعة والمرافق الثقافية الأخرى بأيدي العنصريين والبهائيين وسدنة النظام الحاكم.

لقد حمل تلاميذ الإمام ومريدوه مهمة الدفاع عن الدين في وجه الحملات المنظمة التي كانت تشنّ ضدّه، مباشرة وغير مباشرة، من الأعداء والأصدقاء على حدّ سواء؛ ودفعوا الثمن من وقتهم وحريتهم وحياتهم: كان يقول لهم دائماً، لا تكونوا كالآخرين (يعني رجال الدين التقليديين)، وتقولوا: «لا شأن لنا بما يجري»، أو «نحن لا دخل لنا بالسياسة».

---

(١) رفسنجاني دوران مبارزة. م. س. ج١ ص ١٢٢.

كانت الحملة الفكرية المنظمة التي قادها القوميون العنصريون في إيران تتمحور حول نقطة أساسية تقول: إنّ الأصالة في تعريف الأمة تعود إلى العنصر والدم، وترى أنّ الشعب الإيراني مرتبط عرقياً بالأمم الآرية، وعلى الرغم من لا معقولية هذا الطرح في بلاد اختلطت فيها العناصر الفارسية والعربية والتركمانية والكردية والأوزبكية والمغولية، وتمازجت وتزاوجت طيلة أربعة عشر قرناً من الزمن، فإنّ هذا الفريق كان يبغي من وراء هذا الطرح، الإقتراب من العالم الغربي، مع ما يتبع هذا الإقتراب من تبعات وآثار، أخطرها الإنقطاع عن الأمم المسلمة غير الآرية، والإرتباط بأوروبا والغرب، بحيث يصبح الغرب المستعمر هو الصديق، والعرب المسلمون أجانب وأعداءً.

أما الفريق الآخر الذي كان يمثله آية الله كاشاني أولاً، ثم آية الله الخميني وشباب الحوزة والجامعة الذين نهلوا من معين أفكاره، فقد كان يعطي الأولوية في تعريف الأمة والوطنية والقومية، إلى النظام الفكري والسلوكي والإجتماعي للقرون الأربعة عشر الإسلامية، ويرى إلى المسلمين جميعاً ومنهم العرب غير الآريين أقارب وإخوة، ويرى إلى الغرب غير المسلم أنه أجنبي وبعيدٌ كل البعد.

لقد كان الفريق الأول يرى إلى انكلترا أولاً ثم إلى أميركا واسرائيل حلفاء وأقرباء وأصدقاء، بينما يعلن الفريق الثاني العداء للإستعمار الغربيّ بكلّ أشكاله، وعلى رأسه أميركا وصنيعتها إسرائيل، ويزرع الإمام في نفوس تلاميذه منذ البداية العداء لإسرائيل، وضرورة دعم القضية الفلسطينية بكلّ أبعادها، في الوقت الذي يُعلن فيه الحكمُ تأييدَه لإسرائيل ولحقّها في الوجود، وعداءه الصريح والمعلن للعرب، وتكون إيران الشاه ثاني دولة إسلامية بعد تركيا تلغي اسم فلسطين من كتبها المدرسية.

إن هدفنا من هذا البحث هو إلقاء الضوء على الدور الذي اضطلع به الإمام الخميني وتلاميذه ومريدوه في الردّ على الهجمة العنصرية الشرسة، التي كانت تهدف إلى إحياء أمجاد إيران في العهود السابقة على الإسلام، والتي قادها منذ

بداية القرن مجموعة من المؤرخين والكتاب الغربيين والإيرانيين، والتي تضاعفت حدّتُها في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، وبخاصة في الستينيات والسبعينيات، داعية إلى نبذ الإسلام الذي أدخله إلى إيران الغزاة العرب، البدو الغلاظ الذين سلبوا الأمة الإيرانية عزّها ومجدها.

جاء في كتاب «تاريخ إيران» للسير جان ملكم الإنكليزي، الذي أخذ عنه كثير من المؤرخين الإيرانيين ما يلي:

«لقد بلغ غضب العرب، أتباع النبيّ العربي من لجام الفرس في الدفاع عن ملكهم وعن مذبهم، بحيث إنهم حين ظفروا بهم، تعرّضوا لكلّ ما يوجب قوة للقومية الفارسية! فدمّر كثير من البلدان، وأخمدت نيران المعابد، وقتل كثير من الموابدة المكلّفين بمباشرة الخدمة في تلك المعابد والهياكل، وأحرقت كتب الفضلاء، سواء كانت في المسائل الدينية، أو التاريخ الفارسي الإيراني، أو في مطلق العلوم والمعارف والثقافات والفنون! وقتل كل من كان يحتفظ بنسخ من هذه الكتب، إذ لم يكن العرب المتعصّبون إذ ذاك يعرفون كتاباً سوى القرآن، ولا يريدون أن يعرفوا ما هي تلك الكتب، فهم كانوا يُعدّون الموابدة مجوساً، وكتبهم كتب سحر، ونحن نستطيع أن نقيس حال كتب الفرس بحال كتب الروم واليونان، فنعرف كم بقي من تلك الكتب في مملكة كإيران»[1].

وقد تخطى بعض الإيرانيين هذا الحدّ وزعموا أن دخول الإسلام إلى إيران نتج عنه شقاء دائم للإيرانيين، وعدّوا جميع المساوىء الأخلاقية للإيرانيين المعاصرين، من نتائج غزو العرب لإيران ونفوذ الإسلام بين الإيرانيين! فقد جاء في مقالة نشرتها مجلة «الفردوسي»، يردّ فيها صاحبها على السيد جلال آل أحمد، الذي كان قد وصف في كتاب له صورة للفساد المستشري بين الشباب الإيراني في الخمسينيات والستينيات، بسبب تغرّبهم وانبهارهم بالحضارة الغربية:

«وصل هذا الإنسان الذي وصفته - يا آل أحمد - هو من هذا القرن الأخير فقط؟

(١) مطهري: الاسلام وإيران، ص ١٣٧، نقلاً عن «تاريخ إيران» لملكم الانكليزي.

كلا، لقد ظهر هذا الإنسان الذي لا عقيدة له، ولا أصالة ولا وطن، منذ أكثر من ألف وثلاثمئة عام في أرض إيران، منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي صاح فيه حرس قصور المدائن (طيسفون) وهم بفناء أبواب البلد، وقد رأوا العرب قد أقبلوا: «جاء الجن! جاء الجن!»، لقد انعقدت نطفة هذا الولد من حرام! لقد ولد هذا المولود العجيب منذ أخطأ القائد الإيراني «فيروزان» خطّه، فاغتر بخدعة العرب في فرّهم وكرّهم، في حرب نهاوند، فخسر المعركة! ولنا اليوم منذ ألف وثلاثمئة عام رجال يتقون! لا يطمئنون إلى غيرهم بل يسيئون الظنّ بالناس، فلا يفتحون قلوبهم لغيرهم، ولا نسمع منهم نداءً ولا نقداً ولا استثناءً ولا لمَ، ولا بمَ..»[1].

وكتب هذا الكاتب نفسه في العدد التالي من المجلة:

«... بعد ألف ونيّف من السنين منذ أن غزا العرب هذه الأرض.. تغيّرت مقاييسنا الأخلاقية والروحية والقومية، وتبدّلت كيفية هجماتنا وحروبنا ومقاوماتنا إلى الضعف والذلّ والهوان، وإلى أن نطلب رزقنا من حيث يطلبه الناس، وإلى أن نكون منافقين، ولا أصالة لنا... وما أكثر الجراثيم التي فتكت بنا ولا تزال بتأثير ذلك الغزو»[2].

ونشرت مجلة الفردوسي كذلك مقالاً بعنوان «المثالية في الشعر»، جاء فيه: «نحن نعلم أن غزو العرب لإيران، كان باهظ الثمن على شعوب أمتنا التي فشلت في مقاومة العرب! وأدت هذه الهزيمة السياسية إلى هزيمة معنوية أيضاً! فالعرب كانوا يستهزئون بالحضارة الفارسية، وكانوا يدعون الفرس بينهم «موالي»... ومنعوهم من الإحتفال بأعيادهم؛ ووصفت «البادة» (الخمرة)، التي كان الفرس يشربونها على الغداء والعشاء، شراباً رجساً من عمل الشيطان، وحراماً، وأخمدت النيران في معابدنا الوطنية.

---

(١) م.ن. ص ١٣٦، نقلاً عن مجلة الفردوسي، العدد ٧٨٧: ٣ آبان ١٣٤٥ هـ ش (١٩٦٧).

(٢) م.ن. ص ١٣٧.

إلا أن الفرس لم يتأخروا في مقاومة هذا الغزو، وقامت الأمة الفارسية من بين رماد المذلّة والهوان، واتقد النبوغ الفارسي الإيراني متمثلاً بعلماء من أمثال البيروني والفردوسي والخيّام وابن المقفع والرودكي والدقيقي والرازي والبيهقي.. وهكذا ارتفع الكابوس المظلم»[1].

وكتب «پور داود» وكان من أعتى المحاربين لتاريخ إيران الإسلامي يقول: «... لو لم تكن الثقافة العربية قد دخلت إلى أمتنا مع الحملة العربية(!)، وكان علماؤنا كالخيام وأبي علي (ابن سينا) قد ألّفوا كتباً على نهج كتاب «وانشنامة» لأبي علي و«نوروزنامة» لكانت اللغة الفارسية اليوم أغنى وأوسع»[2].

هذا غيض من فيض مما كتب ونشر في تلك المرحلة، التي جاء كتاب «الاسلام وإيران» للشهيد مطهري[3]، وخطب رفسنجاني في مراكز الثورة، رداً على تلك الشبهات وعلى التحريفات التي كانت ترمي إلى تصوير العلاقات بين الإسلام وإيران على خلاف الواقع والحقيقة، وأنا نفسي عاينت الكثير من هذه التحريفات في عدد من المراجع التي عدت إليها في أوائل الثمانينيات وأواخر السبعينيات في أثناء دراستي للحقبة الصفوية، والتي كانت تصور الكثير من الحركات على مدى التاريخ الإسلامي كحركات «مقاومة إيرانية» للمد الإسلامي.

كما أنني شاهدت بأم عيني في العامين ٧٧ و ٧٨، وأنا أتابع «برامج التلفزيون التعليمي» في طهران ـ الموجّهة إلى التلاميذ في مختلف المراحل الدراسية ـ صورة العربي البدوي الذي سلب إيران مجدها وعزها، ومن ثمّ تحريف الكثير من الوقائع التاريخية...

إذاً، تلك الحملة الشعواء على العرب وعلى الدين الذي أدخلوه إلى إيران، كان أمرها يهون لو أنها ظلت مقتصرة على ما كان يكتب وينشر في المجلات والصحف

---

(١) م.س. ص ١٣٧، نقلاً عن مجلة الفردوسي العدد ٢٣ رديبهشت ١٣٤٧ هـ ش (١٩٦٩م).

(٢) م.س. ص ٢٣٩ نقلاً عن جريدة اطلاعات. العدد ١٢٧٤٥ تاريخ ٢٩ آبان ١٣٤٧ هـ ش (١٩٦٩م).

(٣) كتاب الاسلام وإيران عبارة عن محاضرات ألقاها صاحبها في العام ١٩٦٨ ردا على الحملة العنصرية.

والكتب الفكرية والأدبية والتاريخية، ولكن بعد أن تغلغل المفكرون العنصريون والبهائيون في عهد محمد رضا شاه إلى جميع أجهزة الدولة ومن ضمنها وزارتا الثقافة والتربية والتعليم، أدخلت هذه الأفكار في المناهج التعليمية، لتربية الأجيال المتعاقبة من المتعلمين على كره الغزاة العرب، وتالياً على كره الإسلام ونبذه.

وفي ما يلي سأورد نموذجاً واحداً من الأفكار التي كانت تلقن لتلاميذ المدارس، يكفي لتكوين فكرة عن العداء الذي كان يكنه جهابذة التربية والتعليم للعرب وللإسلام، فقد جاء في كتاب الجغرافيا للسنة الثانية الثانوية تحت عنوان «جغرافية إيران الإنسانية» ما يلي:

«إن تأسيس كلية الطب: «جنديشابور» في خوزستان إيران على عهد الساسانيين، كما يُرينا إقبال الإيرانيين الشديد على المسائل العلمية، ونحن نجزم أنه قد دوّنت على أيدي الإيرانيين كتب ورسائل قيمة وثمينة إذ ذاك، ولكنها ضاعت - مع الأسف - على أثر حملة الأجانب، ولم يبق منها اليوم سوى أسماء بعضها. لقد كان لسيطرة العرب على إيران آثار عميقة في حياتنا العلمية والأدبية والفنية، والفنون الجميلة، فمحتها وأفنتها، ومن ناحية أخرى فرض هؤلاء الغزاة الفاتحون لغتهم وخطّهم، بحيث أخذ كثير من علماء إيران ينشرون كثيراً من آرائهم العلمية والأدبية باللغة العربية، «كابن المقفع» و«الرازي» و«ابن سينا» و«البيروني» و«الفارابي» و«الغزالي»، و«الخيام»، ووجدت اللغة الفارسية اعتبارها حين حصلت أمتنا على استقلالها السياسي على أثر الجهاد البطولي، الذي قام به الإيرانيون منذ القرن الثالث الهجري، وأخذ كثيرٌ من خطبائنا وكتّابنا المتكلمين يشكّلون بروافدهم الأدبية ينبوعاً فياضاً لأدب العالم الإنساني من أمثال: الرودكي والفردوسي والخيّام والمولوي وسعدي وحافظ ومئات آخرين من الشعراء والكتاب والأدباء من وطننا»[1].

(١) مطهري: الاسلام وإيران. ص ١٣٥. نقلاً عن كتاب الجغرافيا للسنة الثانية الثانونية. (أشار الإمام (قدد) إلى هذا الأمر في وصيته السياسية الإلهية. ص ٣٠ - ٣١).

هذه الحملة التي بدأت كما ذكرنا منذ الربع الأول من هذا القرن والتي زادت حدّة في عهد محمد رضا بهلوي، كان الإمام يفنّدها أولاً بأول لتلاميذه في الحوزة منذ الخمسينيات، ثم طلب في أواخر الخمسينيات إلى عدد من الطلبة المواظبين على دروسه من أهل القلم والبيان، وذوي الحضور الفاعل في الساحة الإجتماعية، التصدي لهذه الحملات العنصرية المنظمة بإصدار نشرة إعلامية يكون هدفها التنوير، وتعميم الفكر الإسلامي المتقدم، كما طلب إليهم أن يطرحوا في هذه النشرة موضوع «القضية الفلسطينية»، وهكذا صدرت في قم نشرة «مكتب تشيع» وكانت مختلفة اختلافاً جذرياً عن نشرة «مكتب اسلام» التي كان يصدرها أنصار شريعتمداري. لم يكتب الإمام في نشرة «مكتب تشيع» ولم يشأ أن تكون منبراً إعلامياً له في وقت كان فيه الخلاف على أشده بين مراجع قم الذين كانوا يحضرون أنفسهم لخلافة آية الله البروجردي في المرجعية، ولكن الذين كتبوا في هذه النشرة كتبوا أفكار الإمام وطروحاته، وقد نشرت هذه الدورية مقالة عن فلسطين في العام ١٩٦٠، كانت أول مقالة تتطرق إلى موضوع القضية الفلسطينية في إيران، استعان كاتبها. رفسنجاني بكتاب «القضية الفلسطينية» لأكرم زعيتر مرجعاً لكتابتها، وكان لهذه المقالة أصداء دفعت صاحبها إلى ترجمة الكتاب نفسه بعد ذلك.

في العام ١٩٦٣ م، يصدر الإمام بياناً يشرف على توزيعه في قم حجة الإسلام محمد منتظري، يحرم فيه الإحتفال بعيد النوروز. وإمعاناً من الشاه في تكريس نظام حكمه كاستمرار للعهد الساساني يعلن عن التحضير لإقامة احتفالات التتويج بمناسبة ذكرى الألفين وخمسمئة عام على قيام الأمبراطورية الساسانية، فيصدر الإمام بياناً يحرّم فيه هذه الإحتفالات. وفي عاشوراء من العام نفسه يعلن الإمام إحياء عاشوراء وتجديد العهد لرسالة عاشوراء، وإظهار وجهها الثوري، ويتولى الطلبة توزيع بيان الإمام في جميع المدن الإيرانية، ويُعتقل الإمام، ويخيم على قم والمدن الإيرانية الأخرى جو من الضغط والإرهاب، فيستغل رفسنجاني الوقت الضائع، ويترجم كتاب «القضية الفلسطينية» لأكرم زعيتر، الذي كان سفيراً

للأردن في إيران في تلك المرحلة، فيعدّ الساقاك الكتاب من الكتب المضرّة بأمن الدولة، ويوضع صاحبه تحت المراقبة[1]، وجاء هذا العمل مناسباً في توقيته ومؤثّراً في بلورة الرؤية السياسية للحوزة... وقبل نهاية العام، يفرج عن الإمام وتُنظّم الإحتفالات لاستقباله في قم، ويكون هذا التنظيم مقدمة للعمل الطلابي الجماعي، وصورة عن فاعلية تنظيماته.. وحين اعتُقِلَ عدد من الطلبة في العام ١٩٦٤م، بعد نفي الإمام إلى تركيا، تمحورت الأسئلة التي وُجّهت إليهم في أثناء التحقيقات حول علاقتهم بالإمام، وتركّزت الأسئلة التي وُجّهت إلى رفسنجاني بالتحديد، على كتاب «القضية الفلسطينية» وتفاصيل الطبع والنشر، بهدف معرفة الشخص أو الجهة التي كانت وراء هذا العمل، وما هو قصده من وراء كتابة المقدمة التي يتحدث فيها عن الإستعمار، والتي تسيء إلى أصدقاء إيران[2]، ثم يعمد الساقاك إلى مصادرة الكتاب من المكتبات، فيرسل أكرم زعيتر في ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤ رسالة إلى قائد الساقاك يقول فيها: «كما تعرفون، إن كتابنا «القضية الفلسطينية» قد ترجم إلى اللغة الفارسية، وقد أسعدنا هذا الأمر لأنه يتيح لمثقفي هذا البلد الأخ والصديق الفرصة ليطلعوا على قضيتنا المقدّسة، وبخاصة أن المكتبات هنا لا تخلو من كتب تعكسُ النظرية الصهيونية الباطلة، وقد ازداد أسفُنا حين علمنا أن مديريات الأمن في المحافظات، قد أمرت بجمع نسخ الكتاب من المكتبات ومنعت بيعها، وأخطرت صاحب المطبعة بأنها ستقفل مطبعته.

لا أريد أن أعطي أي تفسير لهذه التصرفات، ولكنني أكتفي بأن أحيل هذه

---

(١) جاء في تقرير الساقاك رقم ٢٢ تاريخ ١٠ - ١٣٤٣ (١٩٦٤) ما يلي: «إن كتاب «سركزشت فلسطين» (القضية الفلسطينية)، تأليف أكرم زعيتر وترجمة أكبر هاشمي رفسنجاني، الذي طُبع دون إذن مسبق من وزارة الثقافة يتحدث بصورة مجملة، عن تاريخ تقسيم الأراضي الفلسطينية بين البلاد العربية واليهود المقيمين في فلسطين، وتدخل الدول الإستعمارية (بحسب مصطلح المؤلف) انكلترا وأميركا في البلاد المذكورة، حيث يشرح المؤلف هذا الموضوع بتعابير فاقعة، ثم يعمد الى تقبيح أفعال الدول المذكورة، وبخاصة انكلترا ودورها في تأسيس دولة اسرائيل...» ويتابع المخبر بقوله: إذا أخذنا في الإعتبار العلاقات الودّية التي تربط دولة شاهنشاهي إيران وانكلترا والولايات المتحدة، فإنّ الإستمرار بنشر مضامين الكتاب المذكور أعلاه مضر بمصالح البلاد العليا». راجع رفسنجاني: دوران مبارزة ج ٢ ص ١٥٦٠.

(٢) رفسنجاني م.س. ج ١ ص ٤٤٢.

القضية ذات الهدف الإنساني المحض إلى جنابكم، وأنا متأكد أنكم لا توافقون على مثل هذه التصرفات، وستأمرون بإعادة النسخ المصادرة[١].

وعلى الرغم من الملاحقات والإعتقالات، ونفي المرشد، استمر تلاميذ الإمام، في المناسبات الدينية المختلفة، في المراكز التي كانت منطلقاً للمقاومة[٢]، في طرح الوجه الثوري للتشيع، والردّ على ما كان يُشاع في إيران من عداء للعرب، وتأييد لإسرائيل، والحث على دعم العرب والفلسطينيين والمقارنة بين الخميني وبين العلماء الآخرين الذين لا هم لهم سوى إقامة صلاة الجماعة[٣] لا ينصرون حقاً ولا يحاربون باطلاً. لقد كانت تلك الخطب مهمة وفاعلة من ناحيتين:

سياسياً: لا يحتاج دورها في تأجيج نار المقاومة إلى توضيح.

ثقافياً: كانت ردّاً على الإيديولوجيات المعادية للعرب وللمسلمين من ناحية أخرى.

هذه الخطب نهلت من معين الدروس التي ألقاها الإمام في العام الفاصل بين سجنه وبين نفيه إلى تركيا، والتي تخلّلتها خطب تاريخية مطوّلة، تعرض نقاط الصراع وقضاياه، وتحدّد توجهاته.

وتأتي الحرب العربية الإسرائيلية في العام ١٩٦٧ م، فلا يخفي الحكم تعاطفه مع إسرائيل دون مراعاة لمشاعر الشعب الدينية، فيصدر الإمام من منفاه في النجف بياناً يحرّم فيه بيع النفط للدول التي تمدّ إسرائيل بالأسلحة، كما يعلن أن أي علاقة مع إسرائيل مهما كان نوعها أو درجتها حرام، وكان هذا أول الغيث، وقد أصدر

---

(١) م.م ج١ ص ٢٥٠.

(٢) هذه المراكز في طهران هي عبارة عن «مسجد قائمية» في جسر سيمان. مجالس تجويد القرآن في جنوب طهران «مسجد موسى بن جعفر»، «مدرسة الحاج أبو الفتح في طهران» «مسجد هدايت»، «منتدى هيئة أنصار الحسين»، «الهيئة الزينبية»، «حسينية الارشاد»، «مدرسة الرفاه». إضافة الى المحافل الجامعية، ومساجد المحافظات والقرى البعيدة. أما رجال الدين الذين كانوا تحت المراقبة فمنهم: هاشمي رفسنجاني. أبو القاسم خزعلي. علي أصغر مروارید. الشهيد محمد علي منتظري. الشيخ مهدي رباني. السيد محمد رضا سعيد خراساني. السيد محمود طالقاني. السيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني. لاهوتي. والسيد علي غيوري. والسيد علي الخامنئي..

(٣) م.ن. ج١ ص ٢٥٧ الكلام لرفسنجاني.

علماء آخرون، منهم منتظري وطالقاني بيانات مماثلة، وكان البرنامج الفارسي اليومي في إذاعة بغداد، يبثّ أحاديث الإمام وأقواله، فتتهيّج مشاعر أنصاره، وتقوم في طهران في ١٧/٣/١٣٤٦ هـ ش (١٩٦٧)، تظاهرات شعبية معادية لإسرائيل، يقمعها رجال الأمن بالقوة، ويعتقل آية الله غروي بتهمة التعاطف مع الخميني والإخلال بالأمن والسيادة،[١] ويمعن الشاه في تحديه لمشاعر الشعب الدينية، فيعلن بعد ذلك بأشهر معدودة تأييده لحق إسرائيل في الوجود[٢]، فيصدر الإمام والعلماء الآخرون بيانات معادية لهذا الموقف، ويتصدى إعلام الثورة لهذا الأمر، فتلقى الخطب في المقرات والمراكز المختلفة، يحمل فيها أصحابها على قلة اكتراث رجال الدين بما يجري[٣]، ويندون بالجرائم التي ترتكبها إسرائيل بحق العرب، ويشبهون هذه الجرائم بما كان الألمان قد اقترفوه بحق اليهود، وبخاصة أن إعلام النظام والقوى المؤيدة لإسرائيل ركّزت على موضوع اليهود الذين أبيدوا في المحارق النازية، لطمس فظاعة المجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحق العرب[٤]، وبسبب التعتيم الإعلامي هذا كان أنصار الثورة يضطرون إلى الحصول على الصحف العربية بصورة سرية من السفارات العربية، وما أكثر الذين كانوا يُستجوبون، إذا شوهدوا داخلين أو خارجين من إحدى هذه السفارات[٥].

كان إعلام الثورة يندد باعتراف الشاه بالدولة الهجين التي تجمّع فيها اليهود من أقاصي الأرض، وأخرجوا السكان الأصليين من منازلهم واحتلوها، في حين كان الإعلام الرسمي يصوّر إسرائيل دولة مسالمة، محاطة بالوحوش، اضطرت أن تدخل الحرب لتدافع عن نفسها، وكان يذكّر الإيرانيين باحتلال العرب لبلادهم منذ

---

(١) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١٥٦١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحيح أن الثورة قادها الخميني وهو رجل دين ومؤيدوه وتلامذته وهم في غالبيتهم من رجال الدين ولكن عددهم كان محدوداً جداً إذا قورن بأعداد رجال الدين وآيات الله الذين لم يحرّكوا ساكناً في تلك المرحلة.

(٤) رفسنجاني . م.ن. ج١ ص ٧٦٩. وص ٥٩٤ وج٢ ص ١٥٦١.

(٥) بتاريخ ٢/٧/٤٦ هـ. ش (١٩٦٧) استجوب رفسنجاني لتردده على سفارة الكويت للحصول على الصحف العربية.

أربعة عشر قرناً، ومعنى ذلك أن إيران فقدت هويتها لأنها لم تتمكن من الوقوف في وجه العرب، في حين استطاعت اسرائيل أن تعوّض عن تلك الهزيمة، بهزيمتها للعرب مجتمعين[١].

كان من الطبيعي أن يكون الردّ على هذا الكلام خطباً لقادة الثورة يركّزون فيها على تعذيب الإسرائيليين للأسرى العرب والفلسطينيين، وتقارن بين سجون إسرائيل وسجون إيران[٢]، بعد أن ذاق عدد منهم طعمها.

ومع الإستعداد لإقامة احتفالات الذكرى الألفين وخمسمئة على تأسيس الأمبراطورية الساسانية، وردّاً على بيان الإمام بتحريم هذه الاحتفالات والمشاركة فيها، ومع تغلغل البهائيين وسيطرتهم على المرافق الإدارية والثقافية في البلاد[٣] تزايدت أمواج التعصب والعنصرية التي أخذت تشيع أن الإسلام دين أجنبي وأن العرب البدو والقساة الغلاظ، غزوا إيران، وفرضوا على الشعب الإيراني الاسلام بالقوة، وفعلوا كذا وكذا...

لذلك تصدى إعلام الثورة بالرد على هذه الافتراءات، وكانت خطب الشهيد مطهري[٤] ورفسنجاني وباهُنر وغيرهم توضح هذه الأمور، وتشرح للناس ماذا قدم الإسلام لإيران، ولماذا اعتنق الإيرانيون الإسلام، وأن الأيدي التي غذت الخلاف بين السنة والشيعة، والأيدي التي أوجدت البهائية والوهابية هي وراء الأصوات القائلة إن الإسلام دين غريب عن إيران، والتي تمجد إيران الساسانية[٥].

يقول رفسنجاني في إحدى خطبه: «إن الكلام كثير اليوم حول إيران القديمة،

---

(١) رفسنجاني م.س ج١ ص ٣٠٥ و ٧٦٩ و ٧٧٥.

(٢) في تقرير للساڤاك بتاريخ ١٨/ ١٠/ ٤٧ (١٩٦٩)، ينتقد فيه مخبر الساڤاك رفسنجاني لاستخدامه في خطبته لفظة «إخواننا العرب».

(٣) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ١٥٦٢.

(٤) راجع الإسلام وإيران للشهيد مطهري. فهو يضم مجموعة محاضراته التي ألقيت في هذا السياق العام ١٩٦٨.

(٥) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ٩٠٢.

ولا مانع من معرفة ما كانت عليه إيران في العهد الساساني، والتاريخ القديم لهذه البلاد، ومآثر الأجداد - إن لم يكن وراء ذلك مخططات خطرة - فلنتذكر تاريخنا السابق للإسلام، ولنطّلع عليه، ولكن الكلام الذي يقال باسم الوطنية، والحديث عن مفاخر إيران القديمة وراءه ما وراءه، ما هي الغاية من الكلام على مزدك وماني والأفستا، وخسروپرويز ويزدجرد والأكاسرة؟ ما معنى دموع التماسيح التي تذرف من أجل القدماء، ووضع الأفستا مقابل القرآن؟ هم يعلمون أن الناس لن يعودوا إلى عبادة النيران، ولن يتخذوا الأفستا كتاباً مقدساً لهم. إن الكلام على حملة المسلمين على إيران وتمزيقهم للتحف الفنية من رسوم وسجّاد وإبادة المكتبات الإيرانية، وأمثال هذه الأقوال، الغاية من ورائها القول إن الإسلام دين أجنبي، جاء إلى إيران من خارج حدودها الجغرافية في صدر الإسلام في حكومة عمر (رض): أولاً هم الذين تخلّوا عن الأفستا أمام منطق القرآن، وكتاب الأفستا المدوّن هذا كُتب في القرن السابع الهجري... لماذا لا يذكرون اسم ابن سينا أو الخواجة نصير الدين الطوسي، ولا يجرون الأبحاث عنهما..؟ ويقول مخبر الساڤاك إن المذكور انهى خطبته بقوله: «اللهم قصّر شرّ اليهود وإسرائيل وأعدائها عن المجتمعات الإسلامية»[1].

في هذه المرحلة أيضاً، وليتمكن زعماء الثورة من معرفة ما يجري في الأراضي العربية المحتلة وليتمكنوا من قراءة الصحف العربية أو الإستماع إلى الإذاعات العربية، شكلوا جلسات أسبوعية لتعلّم اللغة العربية تكون ذريعة لتبادل أشرطة التسجيل (تسجيل الأخبار)، ولتبادل الصحف وقراءة الأخبار المهمة وشرحها، كدرس لغة عربية، وفي تقرير للساڤاك تحت رقم ٥٩٨١٢ تاريخ ٧/ ١١/ ٤٨ هـ.ش (٦٩)، يقول: «بناءً لسوابق الأفراد المشاركين في هذه الدروس، لا يمكن أن يكون عقد مثل هذه الجلسات بريئاً ودون هدف خاص، لذلك نطلب إليكم مراقبة جلسات

(١) تقرير الساڤاك رقم ١١٧٩ في ١٠/ ١١/ ٤٨ (٦٩): رفسنجاني ك.ن. ج٢ ص ٩١٦.

هؤلاء الأفراد، وما يعرض في الدروس، للحصول على مستندات حيّة تدين هؤلاء الأشخاص»[1].

ولهذا الغرض نفسه وتأكيداً على مراقبة الساقاك لهذه الجلسات التي تعطى فيها دروس باللغة العربية، والتي كانت تتشكل في منازل الأفراد، جاء في تقرير الساقاك رقم ٥١٣٣١ تاريخ ٤٩/٣/١ (٧٠)، وموضوعه: (جلسة عدد من رجال الدين المتطرفين مؤيدي الخميني) ما يلي: «من الساعة الثالثة وحتى الخامسة، عقدت في منزل الشيخ حسين كاشاني جلسة شارك فيها كل من علي أصغر مروارید وحسين كاشاني، وجعفر شجوني، والسيد علي غيوري والسيد صادق عسكري، واكبر هاشمي رفسنجاني، وإمامي كاشاني، وقد وضع عسكري في آلة التسجيل شريطاً كان قد سجّل فيه الأخبار عن إذاعتي مصر والأردن، بقصد تعلم اللغة العربية، وكان يشرح الكلمات الصعبة.. وأخرج بعد ذلك صحيفة «الجمهورية» التي تطبع في بغداد، وقال لأصدقائه إن دخول هذه الصحيفة إلى إيران ممنوع، ولكنّ صديقاً لي يعمل في السفارة العراقية هو الذي أحضرها لي، وقد استعار مروارید هذه الصحيفة منه بقصد التمرن على اللغة العربية»[2].

في ١٣٤٨/٢/٢ هـ ش (١٩٦٩) يدعو آية الله سعيدي أحد المكلفين بنشر بيانات الخميني وأقواله إلى الإلتزام بوصايا الإمام، وانتقد بشدة علاقات الصداقة التي تربط الحكم البهلوي بالصهاينة الغاصبين، فيعتقل، ويستشهد في ٤٩/٣/٢ (٧٠) تحت التعذيب، ويتذرع الحكم بالتحضير لاحتفالات التتويج، رداً على التحركات الجديدة لقوى الثورة ولمواقف الإمام في النجف، فيعمل على نفي ممثلي الإمام في قم، وتقتحم قوات الأمن مكتبته كرد فعل احترازي على نشاطات وتحركات ممكنة الحدوث، ويصادف استبدال التاريخ الشاهنشاهي بالتاريخ الهجري، إحراق المسجد الأقصى، فيؤجج مشاعر أهل الثورة وأحاسيسهم، وفي

(١) تقرير الساقاك رقم ٥٩٨١٢ تاريخ ٤٨/١١/٧ عن رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ٩٤١.
(٢) م.ن. ج٢ ص ٩٧٥.

الوقت نفسه يؤكد على ابتعاد رجال الدين التقليديين الذين لم يحرّكوا ساكناً، عن خط الإمام وثورته، وقد بدأ هذا الخلاف يبرز يوماً بعد يوم، فيصدر الإمام بياناً ينتقد فيه العلماء المشهورين المعادين للثورة، الذين لا ينصرون الحق، ولا ينتقدون الباطل، وقد سماهم فيه: «فقهاء البلاط»[١].

ما أن يتوفى عبد الناصر في العام ١٩٧٠ ويتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية في مصر، حتى تعود العلاقات السياسية بين مصر وإيران، بين ليلة وضحاها، وكأن كلّ شيء كان معداً سلفاً، مترافقةً مع تدفق الإستثمارات الأميركية على إيران[٢]. وفي المرحلة نفسها تقدّم الدولة قطعة أرض في شيراز للبهائيين هبة لبناء «حظيرة القدس»[٣].

وأعلنت وسائل الأعلام الرسمية عن إقامة مباراة كرة القدم بين إسرائيل وإيران في ملعب الأمجدية، فترتفع أصوات العلماء المجاهدين رداً على هذا الحدث، معلنين العداء لإسرائيل، وتحريم أيّ تعامل معها، مهما كان نوعه؛ ويتظاهر طلاب جامعة طهران، ويرفعون شعارات معادية للشاه وللصهيونية[٤]، فيقمع الحكم هذه التظاهرات بعنف شديد.

وفي العام نفسه يصدر العلماء المجاهدون بياناً يعلنون فيه اعتراضهم على استخدام النفط الإيراني لمد آلات أعدائهم الحربية بالوقود[٥]، والقيت خطب تحث على مساعدة اللاجئين الفلسطينيين، وتتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني والمجازر التي ارتكبها الصهاينة بحقه، ويعلن الإمام أن الحرب بين الفلسطينيين واليهود متواصلة، وأنها حرب دينية، والدليل على ذلك إحراق المسجد الأقصى،

---

(١) رفسنجاني م.س. ج١ ص ٤٠ ص ١٥٦٢.

(٢) م.ن. ج١ ص ٣١.

(٣) م.ن. ج٢ ص ٩٧٣ كما جاء في تقرير الساڤاك رقم ٣٣ ١٥١ تاريخ ٨/٣/٤٩ (١٩٧٠).

(٤) م.ن. ج٢ ص ١٥٦٤

(٥) م.ن. ج٢ ص ١٥٦٤

محاولاً بثّ روح النخوة لدى الإيرانيين وهم يرون يهود إيران يرسلون المساعدات لإسرائيل[1].

ويركز أعلام الثورة على هذه النقطة في خطبهم، وفي جلسة شارك فيها حوالى الألف شخص خطب رفسنجاني قائلاً:

«كيف نكون مسلمين وحولنا جائعون بلا طعام ومرضى بلا دواء، ومسلمو فلسطين تحت ضغط الإستعمار الصهيوني، وفي كلّ لحظة تنصبُّ فوق رؤوسهم قنابل الناپالم، وآلاف المسلمين في السجون الإسرائيلية في العراء، معرّضين لأشعة الشمس الحارقة، ونحن غير مكترثين، في حين يرسل يهود إيران مساعدات لإسرائيل، نحن يجب ألا نكتفي بالقول لماذا يفعلون ذلك، ولكن علينا أن نقوم نحن كذلك بواجبنا»[2].

في ٩/ ١١/ ١٣٤٩ هـ ش (١٩٧١)، يوزع بيان الإمام الخميني الذي يدعو فيه الحجّاج الإيرانيين إلى طرح «القضية الفلسطينية» في مراسم الحج، وشرحها لحجّاج العالم، وقد كان من نتائج هذا البيان، الذي وُزِّع بصورة مكثفة في جميع أنحاء إيران، أن طرح العلماء المجاهدون هذا الموضوع في خطبهم الأسبوعية، واعتقل آية الله ناصري[3] لهذا السبب. وفي خطبة لرفسنجاني بهذه المناسبة يقول: «... منذ مئات السنين قام المستعمرون الصليبيون وحاربوا العالم الإسلامي، واليوم زرعوا إسرائيل في قلب العالم الإسلامي» وتابع قوله.. «في هذه الأيام تسير قوافل الحجاج إلى مكّة، على رجال الدين أن يشرحوا جوهر الدين لمسلمي العالم المجتمعين هنالك، وينقّوا الدين من الانحرافات التي علقت به، وبدلاً من أن يهجمَ الحجّاج ويتدافعوا نحو «الحجر الأسود» لتقبيله ويقتلوا أحدهم تحت الأرجل، فليتدافعوا نحو صناديق مساعدة اللاجئين الفلسطينيين...» وأنهى خطبته بعبارات معادية

(١) م.ن. ج ٢ ص ١٠٥٤ تقرير الساڤاك رقم ١١٩٠٧.

(٢) رفسنجاني ج٢ ص ١٠٥٧ : تقرير الساڤاك رقم ١٢٠٧٠ تاريخ ٩/ ١٢/ ٤٩ (١٩٧١).

(٣) م.ن. ج ٢ ص ١٥٦٥.

الصهيونية والإستعمار الغربي، وأعلن عن ضرورة مساعدة «إخواننا (كما قال) الفلسطينيين بالمال والأرواح»[١].

في هذه المرحلة بالذات كان هنالك علماء كبار يسمح لهم ضميرهم الديني، ونظرتهم المذهبية الضيقة (الموروثة منذ العهد الصفوي وعمرها ٤٠٠ عام)، بأن يمتدحوا اليهود ويهاجموا العرب (لأن غالبيتهم من أهل السّنة)، فيتصدى لهم إعلام الثورة شارحاً جذور الصراع المذهبي بين السنة والشيعة الذي تجذر في مرحلة الصراع العثماني الصفوي، مبيناً ابتعاد ملوك الصفوية عن جوهر الدين الاسلامي على الرغم من مبالغتهم في إحياء الشعائر المذهبية. وكانت مقالات شريعتي مؤثرة في هذا المجال، وكذلك خطب مطهري ورفسنجاني[٢] ركّزت على هذا الموضوع.

وحين دارت رحى الحرب العربية الاسرائيلية الثانية، كان موقف الدولة الرسمي مؤيداً لإسرائيل، وصار كل من يتطرق إلى الكلام على نضال الفلسطينيين أو مساعدة العرب يُتهم بالتآمر على أمن الدولة، وفي خطبة ألقاها رفسنجاني في «منظمة الشباب العلمية في قزوين» قال: «إن الإسلام اليوم ضعيف إلى درجة أن سبعمئة مليون مسلم، لم يستطيعوا الوقوف بوجه مليون صهيوني أوجدتهم أميركا والإنكليز والفرنسيون، والقدس اليوم، أحد الأماكن الإسلامية المقدسة، تحت سلطة اليهود».. وقال: «إنّ المسلم الحقيقي هو الفدائي الفلسطيني الذي يستطيع بالرشاش أو بالقنبلة على الرغم من المشقات التي يتكبدها والعطش والإختباء في المغاور، أن يقتل جندياً صهيونياً، أما المسلم الذي لا همّ له سوى زيارة الأماكن المقدّسة وقراءة القرآن والصلاة لنيل ثواب الآخرة فليس مسلماً». وعلى أثر هذه الخطبة يُتهم رفسنجاني بأن كلامه مضر بمصلحة البلاد العليا، ويؤمر بمغادرة المدينة»[٣].

---

(١) م.ن. ج٢ ص ١٠٤٦ : من الملاحظ ان مخبر الساڤاك يركز على عبارة (اخواننا الفلسطينيين) ومن أجلها ربما وضع تقريره.

(٢) م.ن. ج٢ ص ٩٧٣ تقرير الساڤاك رقم ٢٣ ٥١ ١ تاريخ ٨/٣/ ١٣٤٩ هـ. ش (١٩٧١).

(٣) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١١٤٤، تقرير الساڤاك رقم ٢٠٦٣ تاريخ ٣١/٥/ ١٣٥٠ هـ. ش (٧٠/ ٧١م).

في ١٩/٨/ ١٣٥١ (١٩٧٢)، يوجّه الإمام رسالة من النجف يعلن فيها دعمه للمجاهدين الفلسطينيين، ويدعو إلى مساعدة ضحايا الإعتداءات الإسرائيلية، ويُفتح حساب لهذا الغرض في طهران باسم العلامة الطباطبائي والشهيد مطهري ورفسنجاني[١].

وفي الرسالة نفسها يؤكد الإمام على ضرورة توطيد العلاقة بين شباب الحوزة وشباب الجامعة، وتتوالى الخطب والمواقف المؤيّدة للقضية الفلسطينية والمناصرة للعرب، واضعة الشاه وإسرائيل في جبهة واحدة، مثيرةً مشاعر الناس ضدّه، وضدّ الصهيونية. في هذا الوقت كانت العلاقات بين إيران ومعظم الدول العربية قد توتّرت، وزادت أمواج الإعتقالات السياسية والتظاهرات والإعدامات، وعمّ الإضطراب والغليان الجامعات، وبخاصة الإضراب الذي عمّ جامعة تبريز والتظاهرات والتفجيرات التي رافقت زيارة نيكسون لطهران؛ وتحسباً لما يمكن أن يحدث في رمضان، أعلنت قيادة الساڤاك أسماء العلماء من أنصار الخميني المحظور عليهم الكلام (ممنوعي المنبر)، واقتحمت مراكز الثورة، وتعرضت حوزة قم لاقتحام واسع، ونُفِيَ عددٌ من مدرسيها ووضع آخرون تحت المراقبة[٢].

في هذه المرحلة كانت شبكة العلاقات قد توسّعت، وصار للثورة قواعد في اوروبا وفي سوريا ولبنان، وقد جاء في أحد تقارير الساڤاك ما يلي:

«... تبيّن من مراقبة رسائل بعض المتطرفين أن هنالك نشاطاتٍ تخريبية سرية يقوم بها عناصر الجبهة المذكورة والمتطرفون من رجال الدين في فرنسا ولبنان وأميركا... وهذه خلاصة لبعض الإجراءات التي قمنا بها:

١ ـ معرفة عناوين أصحاب الرسائل بواسطة قسم مراقبة صناديق البريد.

٢ ـ إعطاء التعليمات والأوامر إلى المندوبين لمعرفة الشبكات العاملة في ألمانيا وأميركا وانكلترا وفرنسا ولبنان، والطلب إلى ممثلينا في الكويت وتركيا، اختيار

(١) رفسنجاني م.ن. ص ١٤٧.

(٢) م.ن. ج ١ ص ٤٧.

بعض العناصر وتدريبهم وإرسالهم إلى لبنان، لاستقصاء المعلومات عن الفدائيين في لبنان والتغلغل في صفوفهم»[1].

وفي خطبة ألقاها رفسنجاني في مقر «هيئة أنصار الحسين» في ١٣٥٠/٣/٢١ هـ. ش (١٩٧٢) يقول:

«نحن مثل اليهود، نعدّ أنفسنا أرفع مقاماً من الآخرين، ونتصور أن الأعمال كلّها تتحقق بالدعاء وتلاوة القرآن. الدعاء يحتاج إلى عمل يسانده، لا أن نقول إن الأئمة هم الذين سيحققون لنا الأهداف، لقد فكر الفلسطينيون على هذا النحو، وظنوا ان الحكام العرب سيعيدون لهم فلسطين، لكنهم حين أعادوا حساباتهم رأوْا أنَّ عليهم أن يتحركوا، فتسلحوا ووقفوا بمواجهة الصهاينة، وإن لم يكونوا قد انتصروا في هذه السنوات الأربع فإنَّ المستقبل أمامهم. لدى الفدائي الفلسطيني اليوم مدفع رشاش وقنابل، ولا يستطيع أحدٌ أن يتجاهله، حين يُمضي الفدائي أسبوعاً كاملاً في الصحراء ليتمكن من القضاء على عدد من الصهاينة، هل سيكون حسابه وحسابكم سواء؟ في يوم الحساب تعرف المصائر...»[2].

وفي رسالة موجّهة من رفسنجاني إلى السيد الخميني في ١٣٥٠/٨/١ (١٩٧٢)، يتضح أن أنصار الخميني كانوا يتابعون أحاديثه من إذاعة بغداد، وكانت خطبه تسجّل على أشرطة تسجيل، وتُسمع في أماكن مقفلة، ونستنتج أن الخطب التي كان يلقيها العلماء المجاهدون في مراكز الثورة، لم تكن سوى تفصيل وتوضيح للأفكار المجملة التي كان يتطرق إليها الإمام، كما نستنتج من الرسالة أيضاً انتقاد عدد كبير من كبار رجال الدين للإمام، ومما جاء في الرسالة مؤيداً لما نقول: «إن أحاديثك وبياناتك الأخيرة، كانت شديدة التأثير في جماهير الشعب، مع أنها أزعجت بعض رجال الدين، ودفعتهم إلى القيام أحياناً ببعض ردود الفعل»[3].

---

(١) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١١٩٤: جزء من تقرير للساڤاك بتاريخ ١٣٥٠/٨/١ هـ. ش (١٩٧٢).
(٢) م.ن. ج٢ ص ١١٦. تقرير الساڤاك رقم ١٣٦٢ في ١٣٥٠/٣/٢١ هـ. ش (١٩٧٢م).
(٣) م.ن. ج٢ ص ١١٩٧.

في ١٩/٨/ ١٣٥١ (١٩٧٣)، وجه الإمام إلى الأمة رسالة يعلن فيها دعمه للمجاهدين والمقاومين الفلسطينيين[١]، وفي ٢٣/٦/ ١٣٥٢ (١٩٧٤)، يعلن أن الخطر الأساسي على الإسلام والمسلمين هو العلاقات السياسية بين إيران من ناحية وامريكا واسرائيل من ناحية ثانية[٢]، ويأمر بوجوب التبرع بربع سهم الخمس للمجاهدين الفلسطينيين، ومتضرري الاعتداءات الإسرائيلية، ويعلن العلماء المجاهدون عن فتح حسابات لهذا الغرض. وفي تقرير الساڤاك التالي نصّه صورة عما كان يجري في تلك المرحلة، يقول التقرير:

«في جلسة مجلس جاويد، وفي أثناء الحديث قال محمد مدير شانه چي لأصدقائه: «إذا كنتم تعرفون أشخاصاً يرغبون في التبرع للعرب وللمنظمات الفلسطينية، أرشدوهم لكي يسلّموا أموالهم إلى الشيخ رفسنجاني ليرسل هذه الأموال بواسطة سفير مصر إلى الفدائيين الفلسطينيين باسم مقلّدي الإمام الخميني. فقد جرى حديث مع سفيري مصر وسوريا ليفتحا حساباً باسمهما ليتمكّن الناس من وضع تبرعاتهم في هذا الحساب دون أن يتعرضوا للمشكلات». وقال هاشمي رفسنجاني كذلك: «انه كان مدعواً إلى الإفطار في أحد الأماكن وهنالك التقى بممثّل سفير مصر الذي اشتكى من معاملة رجال الأمن والمخابرات وقال: إنهم يضيقون علينا كثيراً».

ويعلق المخبر بقوله: «لقد تم فعلياً فتح حساب باسم سفارتي مصر وسوريا، ويستنتج من ثنايا الخبر أن رفسنجاني على علاقة بهاتين السفارتين ويعمل لحسابهما»[٣].

وفي تقرير الساڤاك رقم ٣١٢/١٢١٠٤ تاريخ ٥/١٢/١٣٥٢ هـ.ش (١٩٧٤) «إن إدارة الساڤاك طلبت إلى جميع فروعها التحقيق بشأن المساعدات

(١) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ١٥٦٦.

(٢) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ١٥٦٦.

(٣) تقرير الساڤاك رقم ٧١٤ تاريخ ٩/٨/٥٢هـ. ش (٧٤) نقلاً عن رفسنجاني م.س ج٢ ص ١٣٦٣.

المقدمة إلى الفلسطينيين، لأن جمع الأموال لمساعدة دولة مصر وجمع الأموال للفلسطينيين موضوعان مختلفان، فبالنسبة إلى مساعدة دولة مصر، فإن بعض المتعصبين دينياً، الذين لهم آراؤهم الخاصة بالنسبة إلى موضوع الحرب بين العرب واسرائيل، قد قدموا المساعدات إلى دولة مصر بعد أن فتحت سفارتها حساباً خاصاً. ولكنَّ مسألة جمع الأموال للفلسطينيين موضوع مهم جداً. لذلك يُرجى أن يتم التحقيق بواسطة المخبرين والمتعاونين عن صحة موضوع جمع الأموال بواسطة الأفراد المذكورين في التقرير السابق[1] للفلسطينيين، ومعرفة إذا كانت الأموال التي جُمِعَتْ قد حُوِّلت إلى أحد المسؤولين في إيران أو أنها أرسلت بصورة سرّية إلى الفلسطينيين؟ ومن هم المحرضون للقيام بهذا العمل؟ ومن أي طريق أرسلت هذه الأموال؟ ومن هم الذين تولوا عمليات الجمع؟

يجب أن تعلموا المديرية بكل التحقيقات العادية، أو أي نوع من انواع المعلومات عن نشاطات هؤلاء الأفراد، أو الذين تكشف التحقيقات عن وجودهم، وكل المعلومات التي تساعد في جلاء الموضوع»[2].

في العام نفسه في ١٦/٨/٥٢ (١٩٧٤) دعا آية الله الخميني زعماء المسلمين في رسالة وجهها إليهم الإتحاد لمقاومة إسرائيل الغاصبة جاء فيها: «لو أن رؤساء الدول الإسلامية تركوا خلافاتهم الداخلية وتعرّفوا إلى الأهداف السامية للإسلام ومالوا إليه، لما أصبحوا أسرى وأذلاء للإستعمار. إن خلافات رؤساء الدول الإسلامية التي أوجدت مشكلة فلسطين هي العائق دون حلّ هذه المشكلة»[3].

وكانت زيارة رفسنجاني في العام ٥٣ / ١٣٥٤هـ. ش (١٩٧٦) لسوريا

---

(١) جاء في تقرير الساڤاك رقم ١٢١٠٣ تاريخ ٥/١٢/٥٢ تحت عنوان: جمع الأموال من التجار للعرب (الاعراب) أسماء الأشخاص الذين يطلب التحقيق معهم وهم: علي أكبر هاشمي رفسنجاني، الحاج أبو الفضل توكلي، ومحمد مهدي مدير شانه چي وعلي أكبر پوراستاد.

(٢) تقرير الساڤاك رقم ١٢١٠٤/٣١٢ تاريخ ٥/١٢/١٣٥٢ (١٩٧٤) نقلاً عن رفسنجاني م.ش ج٢ ص ١٣٧٣.

(٣) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١٥٦٦.

ولبنان، خطوة في طريق التنسيق بين قوى الثورة في داخل إيران وفي خارجها، وبخاصة قوى الثورة في لبنان وسوريا[1].

ويعود إلى إيران ليدخل السجن مع عدد كبير من زعماء الثورة، وتتوالى تصريحات الإمام وبياناته من النجف التي يدعو فيها إلى مساعدة ضحايا الإعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان، ومساعدة الجرحى والمنكوبين، وتخصيص ربع سهم الإمام لهذا الغرض في العامين ١٩٧٧ م و١٩٧٨ م.

في هذا الوقت كنت أنا وعائلتي في طهران، لا أعرف شيئاً عما يجري، في طريق الثورة، أتابع التلفزيون والصحف لمعرفة ما يجري في جنوب لبنان، وأرى بأم عيني تعاطف الحكم مع إسرائيل، إلى أن كانت زيارة أنور السادات لإسرائيل وتهليل الإعلام الإيراني المرئي والمسموع لها، وكانت هذه الحادثة أولى الحوادث التي تتالت معلنة هزيمة العرب النفسية والعسكرية أمام إسرائيل، وكانت تلك الليلة بالنسبة إليّ أكثر قسوة وقهراً من ليالي القصف التي عشتها قبل سفري إلى إيران وبعده، ولا نزال نعيشها حتى الآن.

(١) م.ن. ج٢ ص ١٥٨٧ وص ١٥٨٨ والبيان بتاريخ ٢/ ١١/ ١٣٥٥ هـ. ش. (١٩٧٧) و ١٠/ ١٠/ ١٣٥٦ هـ. ش (١٩٧٨).

المصادر

- وصية الإمام الخميني (قده).

- الثقافة الإسلامية. العدد الواحد والأربعون. رجب - شعبان ١٤١٢. كانون الثاني - شباط ١٩٩٢.

- «كيهان العربي» العدد ١٦٠٦.

في عام ١٩٦٤.

- خطاب للإمام (رض) مع المشاركين في مؤتمر القدس العالمي بتاريخ ٩/٨/١٩٨٠.

- حديث للإمام (قده) بتاريخ ٥/٨/١٤٠٦ المصادف ٢٦/١١/١٩٨١.

- كلمة للإمام (رض) رداً على رسالة البابا التي حملها إليه الأسقف كابوجي حول مدرسة النصارى في طهران بتاريخ ٢٢ بهمن (شهر رمضان المبارك) لسنة ١٤٠٠ هـ ١٥ اغسطس ١٩٨٠.

- نداء للإمام (رض) لمناسبة مولد السيد المسيح عليه السلام بتاريخ ٢٣/١٢/١٩٧٩.

- نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام في ١٧/١٤٠٠ هـ.